البنية التفسيرية لقيم العون في القرآن الكريم دراسة استقرائية في منطق المساندة بين الخطاب الأخلاقي والتكليف الشرعي

The Exegetical Structure of the Values of Assistance in the Qur'an:
An Inductive Study of the Logic of Support between Ethical Discourse and Legal Obligation

م. د. محمود نوري الحاتمي

Dr. Mahmoud Nouri Al-Hatimi (Lecturer)

١٤٤٧هـ ٢٠٢٥م

الملخص

تتناول هذه الدراسة البنية التفسيرية لقيم العون في القرآن الكريم بوصفها نسقاً دلالياً وأخلاقياً متكاملاً، لا يقتصر على بعد الوعظ أو الإحسان الفردي، بل يتداخل فيه الخطاب القيمي مع منطق التكليف الشرعي ضمن رؤية قرآنية شاملة لبناء الفرد والجماعة. تنطلق الدراسة من منهج استقرائي يقوم على تتبع موارد العون ومشتقاته وصوره القريبة في النص القرآني، وتحليل سياقاتها المختلفة، للكشف عن الكيفية التي يُبنى بها مفهوم المساندة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وبين الجماعة ومكوناتها الضعيفة. وتُظهر الدراسة أن القرآن لا يقدم العون بوصفه قيمة أخلاقية معزولة، ولا حكماً فقهياً جامداً، بل ينسجه ضمن شبكة من العلاقات القيمية التي تتراوح بين الندب والإلزام، وبين الفضل والواجب، وفق اعتبارات المقصد والسياق والنتيجة. كما تكشف أن الخطاب القرآني يعتمد أساليب متنوعة لترسيخ قيمة العون، منها الأمر الصريح، والتحفيز الضمني، والقصص، وبناء النموذج الإنساني المسانِد بوصفه تجسيداً للإيمان العملي. وتخلص الدراسة إلى أن البنية التفسيرية لقيم العون أسهمت، عبر تاريخ التفسير، في تشكيل أنماط مختلفة من الفهم والسلوك؛ بعضها ركّز على البعد الأخلاقي الاجتماعي، وبعضها الآخر غلّب البعد التكليفي، وهو ما انعكس على تصور المساندة في الواقع الإسلامي. وتؤكد الدراسة ضرورة إعادة قراءة هذه القيم في ضوء منطق التكامل بين الأخلاق والتكليف، بما يعيد للعون مكانته بوصفه ركيزة في البناء القرآني للسلوك الفردي والجماعي.

الكلمات المفتاحية: العون، التعاون، القيم القرآنية، الخطاب الأخلاقي، التكليف الشرعي.

Abstract

This study examines the interpretive structure of the values of assistance in the Holy Qur'an as an integrated moral and semantic system, rather than a mere ethical exhortation or a rigid legal ruling. It explores the intersection between moral discourse and religious obligation within the Qur'anic vision of individual and collective formation. Adopting an inductive methodology, the study traces the occurrences and semantic equivalents of assistance in the Qur'anic text, analyzing their diverse contexts to uncover the logic governing support and solidarity within human and social relations.

The study demonstrates that the Qur'an presents assistance as a dynamic value oscillating between recommendation and obligation, virtue and duty, according to context, purpose, and consequence. It also reveals that Qur'anic discourse employs multiple rhetorical strategies—explicit commands, implicit moral motivation, narratives, and exemplary models—to embed assistance as a manifestation of practical faith.

The research concludes that exegetical approaches to the values of assistance have historically shaped differing ethical and legal perceptions, influencing collective behavior and social responsibility. It emphasizes the need for a renewed interpretive reading that restores the balance between ethical motivation and legal obligation, reaffirming assistance as a foundational element in the Qur'anic construction of individual and communal conduct.

Keywords: *Assistance – Cooperation – Qur'anic Values – Moral Discourse – Legal Obligation*

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم، على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

تنبثق هذه الدراسة من ملاحظة منهجية أساسية: أن قيمة العون في القرآن الكريم تُتداول كثيراً في الخطاب الوعظي، وتُستحضر أحياناً في الفقه الجزئي، لكنها نادراً ما تُدرس بوصفها بنية تفسيرية مركّبة، لها منطقها الداخلي، ومسارها الدلالي، وآليات اشتغالها بين الأخلاق والتكليف. فالقرآن لا يتعامل مع العون كفعل إنساني طارئ، ولا كفضيلة زائدة عن أصل الإيمان، بل يدرجه في نسيج الخطاب الذي يبني الإنسان المسؤول، ويؤسس الجماعة القادرة على الاستمرار والتماسك. ومن هنا تنطلق خلفية البحث من الحاجة إلى تجاوز القراءة التجزيئية للآيات، نحو قراءة استقرائية تكشف منطق المساندة كما يتشكل داخل النص نفسه.

وتتجلى أهمية الموضوع في كونه يقع عند تقاطع حساس بين حقلين غالباً ما يُفصل بينهما في الدراسات المعاصرة: حقل القيم الأخلاقية، وحقل التكليف الشرعي. فالعون في القرآن ليس مجرد دعوة إلى الإحسان، ولا حكماً إلزامياً في كل حال، بل مساحة تداخل دقيقة تُعاد صياغتها بحسب السياق والمقصد والمآل. وتزداد أهمية هذا البحث في ظل التحولات الاجتماعية الراهنة، حيث تُستدعى مفاهيم التعاون والمساندة بكثافة، أحياناً دون وعي بضوابطها القرآنية أو منطقها القيمي.

وتتمحور إشكالية الدراسة حول سؤال مركزي: كيف تُبنى قيمة العون في القرآن الكريم تفسيرياً؟ وهل يقدمها الخطاب القرآني بوصفها التزاماً شرعياً محدداً، أم قيمة أخلاقية مفتوحة، أم بنية مركبة تجمع بين الإلزام والتحفيز؟ ويتفرع عن هذا السؤال تساؤلات أخرى تتعلق بحدود العون، ومعاييره، والفرق بين المساندة المشروعة والإعانة الممنوعة، وكيف تعاملت التفاسير مع هذا التداخل.

وتهدف الدراسة إلى كشف البنية التفسيرية لقيم العون في القرآن الكريم، وتحليل منطق انتقالها من الدلالة اللغوية إلى التوجيه الأخلاقي، ثم إلى التكليف الشرعي عند الاقتضاء، مع إبراز أثر ذلك في تشكيل السلوك الفردي والجماعي. كما تسعى إلى بيان أن العون في القرآن ليس مفهوماً هامشياً، بل ركيزة في تصور الاستخلاف والمسؤولية الاجتماعية.

وتعتمد الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي، من خلال تتبع موارد العون ومشتقاته وألفاظه القريبة في النص القرآني، وتحليل سياقاتها الدلالية والخطابية، ثم مقارنتها بما ورد في التفاسير المعتمدة، دون الانجرار إلى إسقاطات وعظية أو استنتاجات معيارية غير مسندة إلى النص.

أما خطة البحث، فتبدأ بتمهيد يحدد الإطار المفاهيمي والمنهجي للدراسة، ثم يتوزع البحث على ثلاثة مطالب: يتناول الأول الجذور الدلالية لقيم العون في الخطاب القرآني، ويبحث الثاني منطق

المساندة بين الخطاب الأخلاقي وبنية التكليف الشرعي، بينما يخصص المطلب الثالث لتحليل البنية التفسيرية لقيم العون وأثرها في تشكيل السلوك الجماعي. بهذه الخطة تسعى الدراسة إلى تقديم قراءة متوازنة، تنطلق من النص، وتعود إليه، دون تحميله ما لا يحتمل.

التمهيد

يبدأ التفكير في "العون" داخل القرآن من مفارقة لا يمكن تجاوزها: كثرة حضور المعنى مع ندرة التسمية المباشرة. فالنص القرآني لا يصرّح بالقيمة دائمًا، لكنه يزرعها في الجمل، ويتركها تتكثف عبر السياق، كما يتكثف المعنى في القصيدة أكثر مما يتكثف في القاموس. من يقرأ القرآن قراءة تجزيئية قد يرى العون خُلُقًا عابرًا، أو توجيهًا عامًا لا يرقى إلى بنية مفهومية، لكن القراءة المتأنية تكشف أن العون ليس هامشًا أخلاقيًا، بل خيطًا ناظمًا يربط بين الإيمان والعمل، وبين الفرد والجماعة، وبين الخطاب القيمي والتكليف العملي. هذه الدراسة تنطلق من هذا الإدراك الأولي: أن العون في القرآن لا يُفهم من آية واحدة، ولا من لفظ واحد، بل من شبكة دلالية ممتدة، تتطلب استقراءً طويل النفس، لا قراءة سريعة تبحث عن نتيجة جاهزة. (١)

والقرآن، في طريقته الخاصة، لا يعامل القيم باعتبارها أوامر أخلاقية مجردة، بل بوصفها عناصر مُشكِّلة للرؤية الكلية للوجود الإنساني. العون، بهذا المعنى، ليس إحسانًا زائدًا على الحد الأدنى من التكليف، ولا ترفًا أخلاقيًا يُمارس عند توفر الرغبة، بل وظيفة وجودية تتصل بمفهوم الاستخلاف ذاته. فحيثما وُجد ضعف، أو حاجة، أو اختلال في التوازن الاجتماعي، يظهر سؤال العون لا بوصفه سؤال تعاطف، بل بوصفه سؤال مسؤولية. هذه المسؤولية لا تُلقى دائمًا بصيغة الأمر، بل تُبنى تدريجيًا عبر عرض النماذج، وتوزيع الأدوار، وربط العون بمفاهيم أوسع مثل البر، والتقوى، ونفي الإثم. هنا تتجلى عبقرية الخطاب القرآني: لا يُثقل الإنسان بتكليف فجّ، ولا يتركه في فراغ أخلاقي، بل يقوده إلى موقع الفعل عبر الإقناع البنيوي لا الإكراه اللغوي.(٢)

ومن هذا المنطلق تتحدد إشكالية البحث. فالعون في القرآن يتحرك في منطقة رمادية دقيقة، لا يمكن ردّها إلى ثنائية بسيطة من قبيل: واجب أو مستحب. هناك عون يُثاب عليه فاعله دون أن يُلام تاركه، وهناك عون يتحول تركه إلى خذلان، بل إلى اختلال في البنية الأخلاقية للجماعة. كما أن هناك عونًا يُمنع صراحة، حين ينقلب إلى إعانة على الظلم أو الإثم، وهو ما يكشف أن القيمة لا تُفهم

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٢م، ص ٣٤١

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ج٤، ص ١٨٧

إلا ضمن منظومة ضابطة. الإشكال، إذن، ليس في إثبات أن القرآن يدعو إلى العون، فهذا أمر بديهي، بل في فهم كيف يدعو إليه، ومتى يرفعه إلى مرتبة التكليف، ومتى يتركه في دائرة الفضل، ولماذا يقيّده أحيانًا بشروط تبدو صارمة. هذه الأسئلة لا تُجاب بمنهج فقهي محض، ولا بخطاب وعظي، بل تحتاج إلى تفكيك المنطق القيمي الذي يحكم العلاقة بين الأخلاق والتشريع.(١)

ولهذا اختارت الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي، لا باعتباره إجراءً تقنيًا، بل باعتباره خيارًا معرفيًا واعيًا بمخاطر التعميم السريع. تتبع موارد العون ومشتقاته وألفاظه القريبة في القرآن يتيح رؤية التدرج، والتنوع، بل والتوتر أحيانًا في الخطاب. فالنص لا يسير في خط مستقيم، بل يبني المعنى عبر تراكمات، وعبر مقابلات بين العون والخذلان، وبين النصرة والحياد، وبين المبادرة والتقاعس. والتحليل هنا لا يتوقف عند النص، بل ينفتح على كيفية تلقيه تفسيرياً، لأن التفسير نفسه ليس محايدًا، بل هو شاهد على كيف فُهمت قيمة العون في سياقات تاريخية مختلفة، وكيف أُعيد توجيهها أحيانًا لتخدم أولويات اجتماعية أو سياسية بعينها.(٢)

وفي هذا الإطار، لا تسعى الدراسة إلى إصدار أحكام معيارية، ولا إلى تقديم وصفات أخلاقية جاهزة، بل إلى إعادة بناء الصورة من الداخل. العون، كما يقدمه القرآن، ليس مجرد فعل يُؤدّى، بل اختبار دائم لسلامة الفهم. اختبار للقدرة على التمييز بين ما يجب دعمه وما يجب الوقوف في وجهه، بين التعاطف الذي يُصلح، والتعاطف الذي يفسد. بهذا المعنى، يصبح العون معيارًا لوعي الإنسان لا لاندفاعه، ومؤشرًا على نضج الجماعة لا على حماستها. هذه الرؤية لا تنفصل عن النقاشات الفلسفية المعاصرة حول الأخلاق والمسؤولية، لكنها تستمد مشروعيتها الأولى من منطق النص ذاته، لا من إسقاطات خارجية عليه.(٣)

المطلب الأول: الجذور الدلالية لقيم العون في الخطاب القرآني

المحور الأول: تشكّل الدلالة اللغوية لقيم العون في القرآن الكريم

إذا كان أول ما يواجه الباحث في "العون" القرآني هو شيوع المعنى وتخفّي اللفظ، فإن هذا ليس نقصًا في البيان، بل جزء من الاستراتيجية الدلالية للنص. فالقرآن لا يقدّم القيم الكبرى على هيئة مصطلحات تقنية جامدة، بل يوزّعها داخل اللغة كما تُوزّع الحياة داخل الجسد: لا تُرى في موضع واحد، لكنها حاضرة في كل خلية. لفظ "العون" ذاته، بمادته الصريحة، قليل الدوران نسبيًا، لكن معناه

(١) الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج٢، ص ٨

(٢) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م، ج٦، ص ٤٠٣

(٣) طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٠م، ص ١١٢

يتشظّى في ألفاظ أخرى تشترك معه في الجوهر وتختلف عنه في الزاوية: نصرة، تعاون، إعانة، كفالة، قيام بالحق، شدّ الأزر. هذا التعدد اللفظي ليس ترادفًا بسيطًا، بل تنويع مقصود يوسّع الحقل الدلالي ويمنع اختزال القيمة في صورة واحدة. القراءة المعجمية وحدها لا تكشف هذا البعد، لأنها تلتقط الجذر وتغفل الحركة. وحدها القراءة التي تربط اللفظ بسياقه قادرة على إدراك أن العون في القرآن لا يُعطى تعريفًا، بل يُبنى استعمالًا.(١)

في المعجم العربي، تدور مادة "عون" حول معنى الظهير والمساند، لكنها لا تحمل بالضرورة حكمًا قيميًا إيجابيًا في ذاتها. العون في اللغة هو المساعدة مطلقًا، خيرًا كانت أو شرًا، وهو ما يفسّر لماذا لا يكتفي القرآن بإطلاق اللفظ، بل يقيّده دائمًا بسياق أخلاقي أو تشريعي. هنا تتدخل ألفاظ أخرى أكثر تخصيصًا: "النصرة" مثلًا ترتبط غالبًا بمواجهة الظلم أو العدوان، وتحمل بعدًا صراعيًا واضحًا، بينما "التعاون" يشي بالفعل المشترك المتبادل، لا بالمبادرة الفردية فقط. أما "الكفالة" فتدخل في دائرة الرعاية المستمرة لا المساعدة العابرة. هذا التوزيع الدقيق للألفاظ يكشف أن القرآن لا ينظر إلى العون بوصفه حركة واحدة، بل بوصفه طيفًا من الأفعال تتدرج من الدعم المعنوي إلى الالتزام العملي طويل الأمد.(٢)

لكن الأهم من المعجم هو موضع اللفظ في الجملة، وموضع الجملة في الخطاب. فحين يرد العون في سياق فردي، كقصة نبي أو موقف إنساني خاص، فإنه يُعرض غالبًا بوصفه اختبارًا أخلاقيًا شخصيًا، لا قاعدة عامة. وحين يرد في سياق اجتماعي، يتخذ هيئة مبدأ منظم للعلاقات، يُربط بالعدل ومنع التنازع. أما في السياق التعبدي، فيرتبط العون بالله ذاته: طلب المعونة، الاستعانة، والاتكال، وكأن الخطاب يريد أن يقول إن كل عون بشري لا يستقيم إلا إذا وُضع في أفق العون الإلهي. وفي السياق الجهادي، تتخذ النصرة معنى أكثر صرامة، إذ تصبح شرطًا في قيام الجماعة لا خيارًا أخلاقيًا فرديًا. هذا التنوع السياقي لا يسمح بفهم العون كقيمة ساذجة، بل يفرض قراءته كآلية مرنة تتغير وظيفتها بحسب المقام.(٣)

اللافت أن القرآن، رغم هذا الحضور الكثيف لمعنى العون، نادرًا ما يصيغه في صورة أمر مباشر مجرد. كثيرًا ما يُمرَّر المعنى عبر القصص، لا عبر الصيغ الإنشائية. موسى لا يُؤمر بالعون نظريًا، بل يُصوَّر وهو يهبّ لمساعدة المستضعف. المؤمنون لا يُخاطَبون دائمًا بصيغة "أعينوا"، بل

---

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م، ج٤، ص ١٥١

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٢م، ص ٣٥٦

(٣) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م، ج١٠، ص ٩٢

يُمدَحون لأنهم "يؤثرون على أنفسهم". هذا الأسلوب القصصي ليس زخرفة بلاغية، بل بناء أخلاقي بطيء، يهدف إلى جعل العون سلوكًا متجذرًا لا استجابة ظرفية. في هذا المستوى، يصبح العون جزءًا من صورة المؤمن، لا بندًا في قائمة واجباته. وهذه النقلة من الأمر إلى النموذج هي ما يمنح القيمة قدرتها على الاستمرار عبر الزمن.(١)

ومن هنا يمكن القول إن الخطاب القرآني يتعمد تفكيك العلاقة المباشرة بين اللفظ والأمر، ليبني العون بوصفه قيمة مركبة، تُدرَك بالمعايشة النصية لا بالحفظ الاصطلاحي. هذا التفكيك يمنع تحوّل العون إلى سلوك آلي، ويُبقيه مشروطًا بالوعي والسياق. فليس كل مساعدة عونًا محمودًا، وليس كل امتناع خذلانًا. العون الذي يُفضي إلى تثبيت الباطل يُجرَّم، ولو حمل اسم الرحمة، والعون الذي يُمارَس خارج ضوابطه قد ينقلب عبئًا أخلاقيًا. هذه الحساسية الدلالية هي ما يجعل العون في القرآن قيمة تحتاج إلى فقه، لا مجرد نية حسنة.(٢)

بهذا المعنى، لا يعود السؤال: ما معنى العون في القرآن؟ سؤالًا معجميًا، بل سؤالًا بنيويًا: كيف يُنتج النص هذا المعنى؟ وكيف يوزّعه؟ وكيف يمنع تجميده؟ الجذور الدلالية هنا ليست جذور كلمات فقط، بل جذور رؤية. رؤية ترى الإنسان كائنًا علائقيًا، لا يكتمل إلا بالآخر، ولا يُعفى من المسؤولية بحسن النية وحدها. العون، في هذه الرؤية، ليس حركة يد، بل موقف وجودي، تُقاس صحته بوجهته لا بسرعته.(٣)

تنوّع السياقات واستحالة اختزال العون في دلالة واحدة

ما إن يخرج مفهوم العون من دائرة اللفظ إلى فضاء السياق، حتى يفقد أي قابلية للتبسيط. فالعون في القرآن لا يعيش في بيئة لغوية محايدة، بل يتحرك داخل مشاهد كاملة: أشخاص، أزمنة، علاقات قوة وضعف، ونتائج مترتبة على الفعل أو الامتناع. السياق هنا ليس إطارًا خارجيًا للمعنى، بل جزء من تكوينه. ولهذا لا يمكن الحديث عن "دلالة العون" بصيغة المفرد، لأن النص نفسه يرفض هذه الوحدة المصطنعة، ويصرّ على تفكيك القيمة بحسب موضعها من البنية الخطابية العامة.(٤)

في السياق الفردي، يظهر العون غالبًا بوصفه اختبارًا أخلاقيًا لحظة التقاء الإنسان بالآخر خارج أي نظام مؤسسي. مشهد عابر، لكنه كاشف. شخص يواجه ضعفًا، وآخر يملك القدرة. لا تشريع مفصّل، ولا ترتيب جزاءات، بل لحظة اختيار. في هذه المواطن، لا يُقدَّم العون باعتباره واجبًا

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٩٩٩م، ج٤، ص ٣٤٢

(٢) الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج٢، ص ١٩٥

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ج٦، ص ٥

(٤) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٠م، ج٢، ص ٢٠٠

منصوصًا، بل باعتباره كاشفًا لما في الداخل. النص لا يقول: "يجب أن تفعل"، بل يروي ما حدث، ويترك المعنى يتسلل. هذا الأسلوب يجعل العون مرآة للضمير قبل أن يكون التزامًا خارجيًا، ويُسهم في بناء حساسية أخلاقية تسبق أي تقنين.(١)

لكن الصورة تتبدل عندما ينتقل العون إلى السياق الاجتماعي. هنا لا يعود الأمر مجرد اختبار فردي، بل يدخل في نسيج العلاقات العامة: تماسك الجماعة، منع التنازع، حماية الضعفاء، وضبط المصالح المتعارضة. في هذا المستوى، يتقاطع العون مع مفاهيم مثل العدل، والبر، والتقوى، وتُصبح المساندة جزءًا من هندسة المجتمع لا من فضائله الاختيارية فقط. ولهذا يُلاحظ أن الخطاب القرآني في هذه السياقات يميل إلى الصيغة الجامعة، لا الفردية، ويستخدم ألفاظًا ذات طابع شمولي، توحي بأن العون هنا ليس تفضّلًا شخصيًا، بل مساهمة في حفظ البنية الكلية للجماعة.(٢)

أما في السياق التعبدي، فيأخذ العون مسارًا مختلفًا تمامًا. هنا لا يكون الإنسان هو مركز الفعل، بل طرفًا فيه. "الاستعانة" تصبح حركة قلب قبل أن تكون فعل يد، والعون الإلهي يتحول إلى أفق يضبط كل أشكال العون البشري. هذا الربط العميق بين طلب العون من الله وممارسة العون بين الناس ليس تراكبًا اعتباطيًا، بل بناء مقصود: من لا يرى نفسه محتاجًا إلى المعونة الإلهية، يصعب عليه أن يعين غيره بصدق، ومن يطلب العون من الله ثم يعجز عن مساعدة خلقه، يقع في انفصام قيمي واضح. السياق التعبدي، بهذا المعنى، لا يعزل العون عن الواقع، بل يعيد شحنه بدلالة روحية تمنعه من التحول إلى فعل أجوف.(٣)

وفي السياق الجهادي والسياسي، يبلغ مفهوم العون أقصى درجات التوتر الدلالي. هنا تتحول النصرة إلى مسألة بقاء، وتصبح المساندة أو الخذلان فعلًا ذا تبعات مصيرية. في هذه المواطن، لا يُطرح العون كقيمة أخلاقية مجردة، بل كشرط في قيام الكيان الجماعي ذاته. ومع ذلك، حتى في هذا السياق المشحون، لا يفقد الخطاب القرآني حساسيته القيمية، فيقيّد النصرة بالحق، ويرفض تحويلها إلى عصبية عمياء أو تحالف مع الظلم. هذا التوازن الدقيق بين الحسم والضبط هو ما يمنع العون من الانزلاق إلى مجرد أداة قوة. وهذا التنوّع السياقي يكشف عن حقيقة منهجية مهمّة: العون في القرآن ليس قيمة ذات مضمون ثابت يُطبَّق في كل الأحوال بالطريقة نفسها، بل هو قيمة علائقية، تتغير وظيفتها بتغير أطرافها ونتائجها. ولهذا فإن أي محاولة لفرض تعريف واحد شامل للعون تُعد قراءة

---

(١) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ج١، ص ٢٥٧

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج١١، ص ١٧٩

(٣) الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج٤، ص ٣٢٧

قسرية للنص. القرآن، بطبيعته، يرفض هذا النوع من التسطيح، ويفضّل أن يترك القيمة في حالة توتر خلاق، تُجبر القارئ على التفكير لا على الاستنساخ.(١)

ومن هنا نفهم لماذا لا يمكن فصل دراسة العون عن دراسة السياق الخطابي الذي يرد فيه. فالدلالة لا تولد من اللفظ، ولا حتى من الجملة، بل من موقعها في شبكة العلاقات النصية. العون في قصة ليس هو العون في حكم، ولا العون في دعاء هو العون في مواجهة. هذا التعدد ليس ضعفًا في المفهوم، بل مصدر قوته؛ لأنه يمنحه قابلية التطبيق دون أن يفقد بوصلته الأخلاقية.(٢)

من الدلالة إلى النموذج – بناء صورة المؤمن المسانِد في الخطاب القرآني

إذا كانت الدلالة تكشف المعنى، والسياق يحدد وظيفته، فإن النموذج هو اللحظة التي يتحول فيها المفهوم إلى صورة قابلة للتمثل. هنا، بالضبط، يتدخل الخطاب القرآني بأحد أكثر أساليبه تأثيرًا: لا يشرح القيمة، بل يجسّدها. لا يكتفي بتحديد ما ينبغي فعله، بل يعرض لنا من يفعل، وكيف يفعل، وماذا يترتب على فعله أو امتناعه. العون، في هذا المستوى، يخرج من دائرة التجريد، ويصير جزءًا من ملامح الإنسان المؤمن، علامة تُقرأ في السلوك قبل أن تُقرأ في النص. وهذا التحول من المفهوم إلى النموذج ليس تفصيلاً بلاغيًا، بل ركيزة في بناء القيم القرآنية.(٣)

النص القرآني لا يقدّم "المؤمن" بوصفه كائنًا محايدًا أخلاقيًا، ينتظر الأمر ليتحرك، بل يرسمه ككائن مبادر، حساس تجاه الخلل، سريع الالتفات إلى مواضع الضعف. هذه الحساسية لا تُفرض عليه من الخارج، بل تُبنى داخله عبر تراكم المشاهد. المؤمن الذي يعين ليس لأنه مأمور فحسب، بل لأنه لم يعد يحتمل اللامبالاة. هذه البنية النفسية لا تُنتَج بالأوامر، بل بالسرد، وبالتكرار غير المباشر لصورة الإنسان الذي لا يتجاوز المحتاج كأنه غير مرئي. في هذا السياق، يصبح العون جزءًا من الهوية لا من التكليف فقط.(٤)

ومن اللافت أن القرآن، حين يبني هذه الصورة، لا يلجأ إلى النماذج الخارقة، بل إلى المواقف اليومية: لقاء عابر، كلمة، فعل صغير في حجمه كبير في دلالته. كأن النص يتعمّد أن يقول إن العون لا يحتاج إلى بطولة، بل إلى يقظة. هذا الاختيار السردي يمنح القيمة قابلية الاستمرار، لأنها لا تُربط

---

(١) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م، ج٣، ص ٤١٢

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ج٧، ص ٨٨

(٣) ابن القيم، مدارج السالكين، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٦م، ج١، ص ٤٢٥

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م، ج٢، ص ١٩٥

بظروف استثنائية، بل بالحياة كما هي. العون هنا ليس لحظة مجد، بل عادة صامتة، تتكرر حتى تصير جزءًا من نسيج الشخصية المؤمنة.(١)

وفي مقابل صورة المؤمن المسانِد، يرسم القرآن، بهدوء لا يخلو من قسوة، صورة النقيض: الإنسان الذي يرى الحاجة ولا يتحرك، أو الذي يعين في موضع، ويخذل في موضع آخر بدافع المصلحة أو الخوف. هذا التقابل ليس أخلاقيًا فقط، بل معرفي أيضًا. فالعجز عن العون ليس دائمًا نقص قدرة، بل نقص رؤية. من لا يعين، في كثير من المواضع القرآنية، هو من لم يفهم موقعه في الشبكة الأخلاقية العامة. بهذا المعنى، يصبح العون معيارًا للفهم لا للكرم فقط.(٢)

ويزداد هذا المعنى وضوحًا حين نلاحظ أن القرآن لا يفصل بين العون والإيمان العملي. الإيمان ليس تصديقًا ذهنيًا محضًا، بل حركة في العالم. ولهذا كثيرًا ما تأتي الإشارات إلى العون في سياق الحديث عن صفات المؤمنين، لا في سياق الأحكام التفصيلية. كأن الخطاب يريد أن يرسّخ فكرة بسيطة وعميقة في آن: من لا يعين حيث ينبغي، فهناك خلل ما في إيمانه، ليس بالضرورة خللًا عقديًا، بل خلل في ترجمته الواقعية.(٣)

القرآن، في بنائه لهذه الصورة، لا يلغي التعقيد. المؤمن ليس ملاكًا، والعون ليس فعلًا سهلًا دائمًا. هناك تردد، هناك خوف، هناك حسابات. لكن النص لا يبرر الشلل، بل يفهمه ثم يتجاوزه. هذا الفهم العميق للطبيعة البشرية هو ما يمنح النموذج القرآني مصداقيته. فهو لا يطلب من الإنسان أن يكون فوق طاقته، لكنه لا يسمح له أن يتذرع بضعفه ليبرر اللاموقف. العون، هنا، فعل ممكن، لكنه يتطلب شجاعة داخلية قبل أي قدرة خارجية.(٤)

ومن خلال هذا البناء النموذجي، يتحول العون إلى أداة تشكيل جماعي. فحين تتكرر صورة المؤمن المسانِد في الوعي الجمعي، لا تعود مجرد مثال أخلاقي، بل تصبح معيارًا ضمنيًا للحكم على السلوك. المجتمع الذي يتشبع بهذا النموذج يبدأ، تدريجيًا، في نبذ اللامبالاة، وفي مساءلة الخذلان، حتى قبل أن يتدخل القانون أو الفقه. هنا تتجلى قوة الخطاب القرآني في صناعة القيم: لا يفرضها من الأعلى، بل يزرعها في العمق، ويتركها تنمو.(٥)

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٩٩٩م، ج١، ص ٤٦٨

(٢) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج٨، ص ١٢٢

(٣) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٧م، ج٣، ص ٢٥٦

(٤) الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج٣، ص ٩٨

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ج١٠، ص ٢١٥

بهذا يصل مفهوم العون، في مساره القرآني، من الجذر اللغوي إلى الصورة الإنسانية الكاملة. لم يعد مجرد لفظ، ولا مجرد حكم، بل مكوّن من مكوّنات الشخصية المؤمنة. شخصية ترى نفسها جزءًا من كل، وتدرك أن الامتناع عن المساندة ليس حيادًا بريئًا، بل موقف له تبعات. في هذا المستوى، لا يعود السؤال: هل أُمرْتُ بالعون؟ بل: من أكون إن لم أفعل؟(١)

المطلب الثاني: منطق المساندة بين الخطاب الأخلاقي وبنية التكليف الشرعي

عندما يتأمل القارئ الخطاب القرآني في موضوع العون، يلاحظ منذ اللحظة الأولى أن النص لا يبدأ من الإلزام، ولا يندفع مباشرة إلى صيغة الواجب. البداية غالبًا أخلاقية، هادئة، تشبه الهمس أكثر مما تشبه الأمر. القرآن يخاطب الضمير قبل أن يخاطب الذمة، ويوقظ الحس قبل أن يفرض الحكم. هذا الترتيب ليس عفويًا، بل يعكس تصورًا عميقًا لطبيعة الإنسان: الكائن الذي لا يُصلَح بالإكراه ابتداءً، بل بالإقناع، وببناء الميل الداخلي نحو الفعل. التحفيز الأخلاقي هنا ليس مرحلة تمهيدية عابرة، بل أساس تُبنى عليه قابلية التكليف لاحقًا.(٢)

في هذا المستوى الأول، يُقدَّم العون بوصفه قيمة مرغوبة، لا التزامًا مفروضًا. تُربط المساندة بالإحسان، وبمحبة الخير، وبعلامات النبل الإنساني. لا يُقال للإنسان: "أنت ملزم"، بل يُسأل ضمنًا: أي إنسان تريد أن تكون؟ هذه الصيغة غير المباشرة تفتح المجال أمام تشكّل الدافع الذاتي، وتمنع تحوّل العون إلى عبء ثقيل. الخطاب هنا يعمل بمنطق التربية لا بمنطق القضاء، بمنطق التشكيل البطيء لا بمنطق الحسم الفوري.(٣)

لكن هذا التحفيز لا يبقى مفتوحًا بلا سقف. فمع تكرار القيمة، ومع انتقالها من الفرد إلى الجماعة، يبدأ الخطاب القرآني في شدّ النبرة تدريجيًا. بعض صور العون تخرج من دائرة الفضل لتدخل في دائرة المسؤولية، لا لأن النص غيّر رأيه، بل لأن السياق تغيّر. حين يصبح الامتناع عن العون مؤديًا إلى ظلم بيّن، أو ضياع حق، أو انهيار توازن اجتماعي، لا يعود التحفيز كافيًا. هنا يظهر الإلزام لا بوصفه قيدًا، بل بوصفه حماية للقيمة ذاتها من التلاشي.(٤)

الانتقال من التحفيز إلى الإلزام لا يتم بقفزة حادة، بل عبر منطقة وسطى، منطقة تداخل دقيقة بين الأخلاق والتكليف. في هذه المنطقة، لا يكون العون واجبًا مطلقًا في كل حال، ولا يبقى مجرد

---

(١) طه عبد الرحمن، روح الدين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١٢م، ص ١٧٣

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ج٢، ص ١٤٦

(٣) الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج٢، ص ٢٠٢

(٤) الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج١، ص ١٧٦

فضل اختياري. إنه فعل تتحدد صفته بحسب أثره. إذا كان تركه يفضي إلى مفسدة راجحة، ارتفع إلى درجة الإلزام، وإذا كان فعله يحقق مصلحة دون أن يترتب على تركه ضرر عام، بقي في دائرة الفضل. هذا المنطق المقاصدي يمنح الخطاب القرآني مرونة عالية، ويمنع اختزال التكليف في صيغ جامدة.(١)

واللافت أن القرآن لا يصرّح دائمًا بعبارات الوجوب، حتى في المواطن التي يقترب فيها العون من الإلزام. كثيرًا ما يُفهم الحكم من ترتيب المعاني، ومن الربط بين الفعل ونتيجته، لا من صيغة الأمر وحدها. هذا الأسلوب يحمّل المتلقي مسؤولية الفهم، ويمنعه من الاحتماء بسطحية القراءة. فالتكليف هنا ليس نصًا يُتلى، بل وعيًا يُكتسب.(٢)

وفي مقابل ذلك، يحرص الخطاب القرآني على ألا يُغلق باب الفضل. فحتى حين يُلزم في بعض الصور، يترك مساحات واسعة للعطاء الزائد، للعون الذي لا يُطالَب به لكنه يُمدَح. هذا التوازن يمنع تحوّل المجتمع إلى كيان قانوني جاف، تُؤدّى فيه الواجبات بلا روح. الفضل هنا ليس بديلًا عن الواجب، بل روحه الزائدة، ما يجعل العون فعلًا حيًا لا مجرد امتثال.(٣)

من هنا يمكن فهم لماذا يربط القرآن أحيانًا العون بالإيمان العملي، لا بالإيمان النظري. فالإيمان الذي لا يترجم نفسه في مواضع الحاجة يبقى ناقصًا، لا باطلًا بالضرورة، لكنه هشّ. العون، في هذا السياق، يصبح ميزانًا دقيقًا لصدق الالتزام، لا لأنه شرط صحة الإيمان، بل لأنه شرط كماله. هذا التفريق يمنع التكفير الأخلاقي، لكنه لا يسمح بالتساهل القيمي.(٤)

بهذا المنطق، يتبيّن أن القرآن لا يتعامل مع العون بوصفه فعلًا معزولًا، بل بوصفه نقطة التقاء بين الداخل والخارج، بين النية والنظام، بين الضمير والقانون. التحفيز الأخلاقي يزرع الميل، والتكليف الشرعي يحمي الاتجاه. وإذا اختل أحد الطرفين، اختلت القيمة نفسها: أخلاق بلا تكليف تتحول إلى شعارات، وتكليف بلا أخلاق يتحول إلى قسر.(٥)

في هذه المنطقة المتداخلة، تتجلّى دقة البناء القرآني. لا إفراط في الإلزام، ولا تفريط في المسؤولية. العون ليس واجبًا دائمًا، ولا فضلًا دائمًا، بل فعل يُقاس بموضعه، وتُحدَّد صفته بآثاره. هذا

---

(١) ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م، ج٣، ص ١٤

(٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٠م، ج١، ص ٢٩١

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م، ج٥، ص ٢٥٣

(٤) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٧م، ج٩، ص ٣٦٧

(٥) طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٠م، ص ٨٨

التعقيد ليس عيبًا في الخطاب، بل دليل نضجه؛ لأنه يعامل الإنسان باعتباره فاعلًا عاقلًا، لا منفذًا أعمى.(١)

ضوابط العون وحدوده – حين تنقلب المساندة إلى إعانة على الإثم

العون، في الخطاب القرآني، ليس قيمة سائبة تُمارَس بلا سؤال، ولا فعلًا حسن النية يكفي لتبريره. منذ اللحظة الأولى التي يُستحضَر فيها، يُحاط بسياج دلالي يضبط اتجاهه، ويحدّد وجهته. فالقرآن، وهو يحفّز على المساندة، يزرع في الوقت نفسه بذور التحفّظ، كأنه يخشى على القيمة من سوء استعمالها أكثر مما يخشى عليها من الإهمال. هذا التوازن الدقيق يكشف أن العون، إذا انفصل عن مقاصده، قد يتحول من فضيلة إلى عبء، ومن عمل إصلاحي إلى مشاركة صامتة في الفساد.(٢)

أول هذه الضوابط يتمثل في الوجهة الأخلاقية للعون. ليست كل مساعدة خيرًا، ولا كل دعم محمودًا. القرآن يربط العون دائمًا بما يخدم الحق، ويقطع الطريق على أي فهم عاطفي ساذج يبرر المساندة لمجرد القرابة أو التعاطف. هنا تظهر المفارقة: الامتناع عن العون قد يكون، في بعض المواضع، عين المسؤولية الأخلاقية. هذا القلب المقصود للمعادلة يمنع الإنسان من الاحتماء بنية الخير لتبرير فعل يؤدي إلى نتيجة فاسدة. فالنية، في المنطق القرآني، شرط لازم، لكنها ليست شرطًا كافيًا، أما الضابط الثاني يتصل بـــأثر العون ومآلاته. الخطاب القرآني لا يحاكم الأفعال بمعزل عن نتائجها، ولا يقف عند لحظة الأداء. العون الذي يرسّخ ظلمًا قائمًا، أو يطيل أمده، لا يُعاد تأويله أخلاقيًا مهما كانت دوافعه. هنا تتقاطع قيمة العون مع منطق المآلات، وهو منطق حاضر بقوة في التفكير الأصولي المستند إلى النص. هذا الحضور يمنح العون بعدًا عقلانيًا يمنعه من الانزلاق إلى العاطفة العمياء، ويجعل المساندة فعلًا محسوبًا لا اندفاعًا لحظيًا.(٣)

ثم يأتي ضابط ثالث أكثر دقة، يتعلق بـــحدود القدرة والمسؤولية. فالقرآن لا يطالب الإنسان بعون يتجاوز طاقته، ولا يحمّله وزر ما لا يملك تغييره. لكن في المقابل، لا يسمح له أن يتذرع بالعجز لتبرير التخلّي عن الممكن. هذا التوازن بين الطاقة والتكليف يجعل العون فعلًا واقعيًا، لا مثاليًا منفصلًا عن شروط الوجود. العون المطلوب ليس إنقاذ العالم، بل أداء ما يقع ضمن دائرة الاستطاعة الواعية.(٤)

---

(١) ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٢١٤

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج١٢، ص ٤٨

(٣) الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج٤، ص ١٩٤

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ج٥، ص ١٣٢

ومن أخطر ما يناقشه الخطاب القرآني في هذا الباب هو تحوّل العون إلى إعانة على الإثم. هنا تبلغ اللغة أقصى درجات الوضوح، وكأن النص يتخلى عن التلميح لصالح الحسم. الإعانة ليست مجرد مشاركة مباشرة، بل قد تكون تسهيلًا، أو صمتًا، أو توفير غطاء أخلاقي. هذا الاتساع في مفهوم الإعانة يكشف حساسية عالية تجاه الأفعال غير المباشرة، ويمنع اختزال المسؤولية في الفعل الظاهر وحده. فالذي يعين على الظلم، ولو من موقع جانبي، شريك في نتائجه.(١)

هذا التشديد لا يلغي التعقيد الأخلاقي، بل يعترف به. فليس كل موقف واضح الحدود، ولا كل حالة قابلة للتصنيف السريع. ولهذا لا يقدّم القرآن قائمة جاهزة بما يجوز وما لا يجوز من صور العون، بل يقدّم معايير عامة تُفعَّل بالعقل والضمير معًا. هذا التفويض المقصود للإنسان هو ما يجعل العون قيمة اختبارية، تكشف عن مستوى الوعي لا عن مستوى الطاعة فقط.(٢)

وفي هذا الإطار، يبرز الفرق بين العون بوصفه تضامنًا، والعون بوصفه تحالفًا. التضامن يُبنى على الحق، ويتوقف عند حدوده، أما التحالف فيمكن أن يتجاوز هذه الحدود بدافع المصلحة. الخطاب القرآني شديد الحذر من هذا التحوّل، لأنه يعلم أن كثيرًا من صور الإثم لا تقوم إلا بفضل شبكات الدعم غير المعلنة. لهذا يُعاد تعريف الوفاء والولاء في ضوء القيم، لا في ضوء الروابط وحدها.(٣)

ومع كل هذه الضوابط، لا يتحول العون في القرآن إلى فعل مشلول خائف من الخطأ. على العكس، تبقى المبادرة حاضرة، لكن ضمن وعي أخلاقي حاد. العون المطلوب ليس معصومًا من التعقيد، لكنه محروس بالنية الصادقة، وبالمراجعة الدائمة للأثر. هذا التوتر بين الجرأة والحذر هو ما يمنح القيمة عمقها الإنساني، ويجعلها قابلة للحياة في عالم غير مثالي.(٤)

في نهاية هذا المسار، يتضح أن ضوابط العون في القرآن لا تهدف إلى تقليص القيمة، بل إلى حمايتها من الابتذال. فالعون الذي يُمارَس بلا وعي قد يُفسد أكثر مما يُصلح، والعون الذي يُضبط بالحق يصبح أداة بناء حقيقية. بهذا الفهم، لا يكون الامتناع دائمًا تقصيرًا، ولا تكون المساندة دائمًا فضيلة، بل يُعاد تعريف الموقف الأخلاقي في كل مرة بحسب ميزان دقيق، لا يميل مع الهوى ولا يتصلّب مع النص المجرد.(٥)

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م، ج٦، ص ٤٦

(٢) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م، ج٣، ص ٢٨٩

(٣) ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م، ج٢، ص ١٧٠

(٤) الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج٤، ص ٩١

(٥)

المطلب الثالث: البنية التفسيرية لقيم العون وأثرها في تشكيل السلوك الجماعي

عندما نفتح كتب التفسير باحثين عن "العون"، لا نجد مصطلحًا واحدًا مستقرًا، ولا قراءة موحّدة تتكرر عبر العصور، بل نواجه طيفًا واسعًا من المقاربات، يعكس في جوهره اختلاف الرؤية إلى وظيفة القرآن نفسه: هل هو كتاب تزكية أخلاقية؟ أم مصدر أحكام عملية؟ أم مشروع لبناء جماعة تاريخية؟ هذا السؤال غير المعلن هو الذي يوجّه المفسر، أحيانًا دون وعي منه، في طريقة تعامله مع آيات العون. ولهذا فإن البنية التفسيرية هنا لا تتحدد فقط بما قيل، بل بكيفية القول، وبما تم تقديمه على غيره من المعاني الممكنة.(١)

في التفاسير المبكرة، وخصوصًا تلك التي نشأت في سياق قريب من زمن التنزيل، يظهر العون غالبًا مرتبطًا بالفعل الاجتماعي المباشر. المفسر لا يفصل بين النص وواقعه، لأن النص لم يكن قد انفصل بعد عن الحياة اليومية للمجتمع. العون هنا يُقرأ بوصفه ممارسة ضرورية لحفظ التماسك، لا موضوعًا للتجريد النظري. ولهذا نلاحظ أن كثيرًا من الشروح تكتفي ببيان المعنى العام، وربطه بالسلوك المألوف، دون الدخول في تنظير مطوّل. هذه البساطة لا تعني سطحية، بل تعكس قربًا من مناخ النص، حيث لم تكن القيم بحاجة إلى تأطير فلسفي لتكون مفهومة.(٢)

ومع تطور العلوم الإسلامية، وظهور التخصصات، بدأ العون يُقرأ من زوايا مختلفة. في التفاسير ذات النزعة الفقهية، يتحول الاهتمام من بناء القيمة إلى تحديد حكمها. متى يكون العون واجبًا؟ متى يُمنع؟ ما صلته بالمسؤولية القانونية؟ هذا التحول أدّى إلى قدر من التضييق الدلالي، لا لأن المفسر أراد إفقار النص، بل لأن سؤال عصره كان مختلفًا: سؤال التنظيم، والضبط، ومنع الفوضى. في هذا السياق، يصبح العون أقرب إلى مسألة تكليفية، تُبحث في شروطها وموانعها، أكثر من كونه طاقة أخلاقية مولِّدة للسلوك.(٣)

في المقابل، نجد اتجاهًا تفسيريًا آخر، ركّز على البعد الأخلاقي والتربوي، ورأى في العون أحد مفاتيح تزكية النفس وبناء الضمير. في هذا النمط من القراءة، لا يُسأل أولًا: هل العون واجب أم مندوب؟ بل: ماذا يفعل العون بالإنسان؟ كيف يشكّل علاقته بالآخر؟ كيف يحرّره من الأنانية؟ هذه المقاربة تُعيد القيمة إلى مركز الخطاب، لكنها قد تقع أحيانًا في خطر التعميم، حين تُغفل الحاجة إلى الضبط في بعض السياقات المعقّدة.(٤)

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ج١، ص ٣٨

(٢) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م، ج٣، ص ١٢

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م، ج٤، ص ٢٢١

(٤) الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج٣، ص ١٤٥

هذا التباين بين القراءة الفقهية والقراءة الأخلاقية ليس صراعًا بقدر ما هو انعكاس لتعدّد وظائف النص القرآني. المشكلة لا تظهر إلا عندما تُقدَّم إحدى القراءتين بوصفها القراءة الوحيدة الممكنة. حين يُختزل العون في حكم فقهي، يفقد قدرته على الإلهام، وحين يُختزل في خطاب أخلاقي عام، يفقد قدرته على التنظيم. البنية التفسيرية المتوازنة هي التي تسمح بتجاور المعنيين دون أن يلغيا بعضهما.(١)

ومع الانتقال إلى التفاسير الحديثة والمعاصرة، يظهر عامل جديد: الوعي بالسياق الاجتماعي الواسع، وبقضايا مثل الفقر، والعدالة، والتفاوت، وبناء الدولة. في هذا الإطار، يُعاد قراءة العون بوصفه أداة إصلاح اجتماعي، لا مجرد خلق فردي. المفسر هنا لا يكتفي ببيان المعنى، بل يسأل عن أثره في الواقع، وعن مسؤوليته في مواجهة الاختلالات البنيوية. هذا التحول يعكس تطورًا في فهم دور القرآن في المجال العام، لكنه يفتح أيضًا بابًا للتسييس أو الإسقاط إن لم يُضبط منهجيًا.(٢)

اللافت في هذه القراءات الحديثة أنها تكشف بوضوح أن التفسير ليس فعلًا محايدًا. اختيار التركيز على العون أو تجاوزه، توسيع دلالته أو تضييقها، كل ذلك يساهم في تشكيل وعي الجماعة. حين يُقدَّم العون بوصفه مسؤولية جماعية، تتغيّر نظرة المجتمع إلى قضايا الضعف والتكافل. وحين يُهمَّش، تتحول هذه القضايا إلى شأن فردي أو إحساني عابر. بهذا المعنى، لا يكون التفسير شرحًا للنص فقط، بل مشاركة في توجيه السلوك الاجتماعي.(٣)

ومن هنا يمكن القول إن البنية التفسيرية لقيم العون تتأثر بالسؤال المركزي الذي يحمله المفسر: هل يسعى إلى حفظ النظام؟ أم إلى تهذيب الفرد؟ أم إلى إصلاح المجتمع؟ كل إجابة تُنتج قراءة مختلفة، وكل قراءة تترك أثرها في الواقع. العون، في نهاية المطاف، لا يعيش في الكتب، بل في السلوك. وما يُقال عنه في التفسير يحدد، بدرجة كبيرة، كيف يُمارَس على الأرض.(٤)

من التفسير إلى الواقع – أثر بنية العون في تشكيل السلوك الجماعي

حين نغادر صفحات كتب التفسير إلى المجال الاجتماعي، تتبدّى حقيقة قد تبدو قاسية لكنها لا يمكن تجاهلها: الطريقة التي يُفسَّر بها العون ليست شأنًا علميًا محضًا، بل عاملًا مباشرًا في إنتاج أنماط من السلوك الجماعي، فاعلة كانت أم منكمشة. التفسير لا يبقى حبيس الورق؛ إنه يتسلل، ببطء أحيانًا وبقوة أحيانًا أخرى، إلى الوعي العام، ويعيد تشكيل ما يُعد واجبًا، وما يُنظر إليه كفضل، وما

---

(١) الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج٢، ص ٣٠٢

(٢) محمد عبده، تفسير المنار، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج٥، ص ٢٨٩

(٣) ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ١٦٧

(٤) طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٠م، ص ١٣٣

يُترك للضمير الفردي دون مساءلة. بهذا المعنى، تصبح البنية التفسيرية لقيم العون وسيطًا خفيًا بين النص والواقع، يحدد كيف يرى المجتمع نفسه في علاقته بالضعف والحاجة والمسؤولية.(١)

في البيئات التي غلبت فيها القراءة الأخلاقية الوعظية للعون، غالبًا ما تحوّل مفهوم المساندة إلى فعل إحساني فردي، مرتبط بصفاء النية أكثر من ارتباطه بالبنية الاجتماعية. يُمدَح العطاء، ويُثنى على الكرم، لكن دون أن يُربط ذلك بسؤال العدالة أو بإصلاح الأسباب التي تُنتج الحاجة أصلًا. هذا النمط من التلقي لا يخلو من أثر إيجابي، لكنه يظل محدود الفاعلية، لأنه يضعف الإحساس بالمسؤولية الجماعية، ويحوّل العون إلى مبادرات متفرقة، لا إلى منظومة متماسكة.(٢)

في المقابل، حين تهيمن القراءة الفقهية الصارمة، التي تحصر العون في دائرة الواجبات المحددة، يتكوّن نمط مختلف من السلوك. المجتمع هنا يؤدي ما فُرض عليه، لكنه نادرًا ما يتجاوز الحد الأدنى. يُسدَّد الحق، لكن دون حرارة أخلاقية، ودون شعور عميق بالمسؤولية تجاه ما يقع خارج النص الصريح. هذا النمط ينتج جماعة منضبطة، لكنها قد تكون باردة، تتعامل مع الضعف باعتباره ملفًا قانونيًا لا نداءً إنسانيًا.(٣)

المفارقة أن كلا النمطين، على اختلافهما، يشتركان في نتيجة واحدة: انكماش الفاعلية الجماعية. الأول لأنه يعوّل على المبادرة الفردية دون بناء نظام، والثاني لأنه يكتفي بالواجب دون استدعاء الفضل. في الحالتين، يُختزل العون، مرة في العاطفة، ومرة في الإجراء. أما القرآن، في بنيته الأصلية، فيقترح نموذجًا ثالثًا، أكثر تعقيدًا وأشد حيوية: نموذج تتكامل فيه الأخلاق والتكليف، بحيث يُغذّي كل منهما الآخر.(٤)

وحين تنجح البنية التفسيرية في الحفاظ على هذا التكامل، يظهر أثر ذلك بوضوح في السلوك الجمعي. العون لا يعود حدثًا طارئًا، بل يتحول إلى ثقافة عامة. تُبنى شبكات تضامن، لا بوصفها صدقات، بل بوصفها تعبيرًا عن فهم مشترك للاستخلاف والمسؤولية. في هذه الحالة، لا يُسأل فقط: من المحتاج؟ بل يُسأل أيضًا: لماذا تكررت الحاجة؟ وكيف يمكن تقليلها؟ هنا ينتقل العون من مستوى الاستجابة إلى مستوى الوقاية، ومن ردّ الفعل إلى التخطيط.(٥)

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ٣١٢

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج٤، ص ٢٠١

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م، ج٨، ص ١٧٣

(٤) الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج٢، ص ٣١١

(٥) محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ١٨٢

ويظهر أثر البنية التفسيرية كذلك في طريقة تعامل الجماعة مع الفئات الضعيفة. فحين يُقرأ العون بوصفه منّة، تُنتج علاقة غير متكافئة بين المعطي والمتلقي، علاقة تُبقي الضعف قائمًا وإن خفّفت ألمه. أما حين يُقرأ بوصفه حقًا أخلاقيًا واجتماعيًا، تتغيّر اللغة، وتتغيّر الممارسة. لا يعود العون تفضّلًا، بل مشاركة في ترميم خلل عام. هذا التحوّل في الوعي لا يحدث تلقائيًا، بل هو ثمرة قراءة تفسيرية تعيد الاعتبار للبعد البنيوي في القيم القرآنية.(١)

ومن أخطر ما تكشفه التجربة التاريخية أن تهميش قيمة العون في الخطاب التفسيري، أو إفراغها من بعدها الجماعي، يفتح الباب أمام اللامبالاة المنظمة. المجتمع الذي يتعوّد أن يرى المساندة خيارًا فرديًا صرفًا، سرعان ما يفقد حسّ التضامن، ويترك الفئات الهشة لمصيرها، ثم يتفاجأ بانفجار الأزمات. هنا لا يكون الخلل في النص، بل في طريقة قراءته وتداوله.(٢)

على الضفة الأخرى، حين تُحمَّل آيات العون فوق طاقتها، وتُحوَّل إلى شعارات سياسية أو أدوات تعبئة عاطفية، يتعرض السلوك الجماعي لتشويه من نوع آخر. العون يتحول إلى اصطفاف أعمى، والنصرة إلى عصبية، والمساندة إلى تبرير للظلم باسم الجماعة. هذا الانحراف لا يقل خطورة عن الانكماش، لأنه يستبدل الوعي القيمي بالحماس غير المنضبط. وبهذا المعنى، لا يمكن الحديث عن أثر إيجابي لقيم العون في الواقع دون الحديث عن مسؤولية التفسير. فالتفسير ليس مجرد نقل للمعنى، بل إعادة إنتاج له في سياق اجتماعي محدد. وكل قراءة تُرجّح بعدًا وتُهمّش آخر، تُسهم، بقصد أو بغير قصد، في توجيه السلوك العام. العون، حين يُفهم في توازنه القرآني، يُنتج جماعة فاعلة، حساسة للضعف، منضبطة بالحق، وقادرة على الجمع بين المبادرة والنظام. وحين يُفهم اختزاليًا، يُنتج جماعة مترددة أو مندفعة، لكنها في الحالتين بعيدة عن المقصد.(٣)

في النهاية، لا تكون البنية التفسيرية لقيم العون مجرد خلفية فكرية، بل عاملًا حاسمًا في تحديد اتجاه المجتمع: هل يميل إلى الفعل أم إلى الانكفاء؟ إلى التضامن الواعي أم إلى العطف العابر؟ النص القرآني يظل ثابتًا، لكن ما يتغيّر هو المرآة التي نقرأه فيها. وفي تلك المرآة، تتحدد ملامح السلوك الجماعي، بقدر ما تتحدد ملامح الفهم.

---

(١) أبو زهرة، العدالة الاجتماعية في الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٩٥

(٢) مالك بن نبي، شروط النهضة، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦م، ص ١٠٧

(٣) طه عبد الرحمن، روح الدين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١٢م، ص ٢١٩

الخاتمة

تصل هذه الدراسة، بعد هذا المسار الاستقرائي الطويل، إلى نتيجة جوهرية مفادها أن قيمة العون في القرآن الكريم ليست قيمة هامشية ولا عاطفية، بل بنية مركزية في تصور النص للإنسان والمجتمع. فالقرآن لا يتعامل مع العون بوصفه استجابة ظرفية للحاجة، ولا باعتباره فضيلة أخلاقية اختيارية تُمارس حين تسمح الظروف، بل ينسجه في عمق الخطاب الذي يؤسس لمعنى الاستخلاف والمسؤولية والتكافل. ومن ثمّ، فإن أي قراءة تُخرج العون من هذا الإطار البنيوي تُنتج فهمًا منقوصًا، مهما حسنت نواياها.

وقد أظهر التحليل أن العون في القرآن لا يقوم على دلالة واحدة مستقرة، بل على شبكة دلالية مرنة تتوزع بين ألفاظ متعددة وسياقات مختلفة، وتتحرك بحسب المقام دون أن تفقد بوصلتها القيمية. هذا التعدد ليس اضطرابًا في المعنى، بل تعبير عن وعي قرآني عميق بتعقيد الواقع الإنساني، حيث لا يمكن لقيمة واحدة أن تُختزل في تعريف واحد أو حكم واحد. فالعون قد يكون فعل نجدة فردية، وقد يكون مبدأً اجتماعيًا، وقد يرتقي إلى مستوى التكليف، وقد يتراجع إلى دائرة الفضل، تبعًا للأثر والمآل.

كما كشفت الدراسة أن الخطاب القرآني لا يفصل فصلًا حادًا بين الأخلاق والتشريع، بل يبني منطقة تداخل دقيقة بين التحفيز القيمي والإلزام الشرعي. فالتحفيز ليس بديلًا عن التكليف، والتكليف ليس قسرًا منفصلًا عن الأخلاق، وإنما هما مساران متكاملان: الأول يكوّن الدافع، والثاني يحمي الاتجاه. وفي هذا التكامل تتجلى حكمة القرآن في مخاطبة الإنسان لا بوصفه منفذًا للأوامر، بل فاعلًا أخلاقيًا واعيًا بمآلات أفعاله.

ومن أهم ما انتهت إليه الدراسة أن العون في القرآن قيمة منضبطة لا مطلقة. فالنص، وهو يحفّز على المساندة، يضع في الوقت ذاته حدودًا واضحة تحول دون انقلابها إلى إعانة على الإثم أو الظلم. وهذا الضبط لا يقوم على نفي العاطفة، بل على توجيهها، ولا على تعطيل المبادرة، بل على عقلنتها. وبذلك يُعاد تعريف الموقف الأخلاقي: ليس كل عون فضيلة، وليس كل امتناع تقصيرًا، وإنما تُقاس القيمة بوجهتها ونتيجتها.

أما على مستوى التفسير، فقد بيّنت الدراسة أن البنية التفسيرية لقيم العون ليست محايدة، بل تسهم بفاعلية في تشكيل الوعي الجماعي وأنماط السلوك الاجتماعي. فالتفاسير التي غلّبت البعد الوعظي الأخلاقي أسهمت في ترسيخ ثقافة الإحسان الفردي، لكنها أضعفت أحيانًا الإحساس بالمسؤولية البنيوية. في المقابل، أدت القراءات الفقهية الصارمة إلى ضبط السلوك، لكنها كثيرًا ما أفرغته من روحه القيمية. أما القراءات المتوازنة، التي جمعت بين الأخلاق والتكليف، فقد كانت

الأقدر على إنتاج سلوك جماعي فاعل، يرى في العون واجبًا إنسانيًا منضبطًا لا صدقة عابرة ولا التزامًا جافًا.

وانطلاقًا من هذه النتائج، يمكن الخروج بجملة من التوصيات العلمية والمنهجية. أولها ضرورة إعادة قراءة آيات العون قراءة استقرائية تكاملية، تتجاوز الفصل التقليدي بين التفسير الأخلاقي والتفسير الفقهي، وتعيد وصل القيمة بسياقها المقاصدي والاجتماعي. ثانيها أهمية إدماج مفهوم العون، كما يقدمه القرآن، في الدراسات المعاصرة المتعلقة بالعدالة الاجتماعية والتكافل، لا بوصفه شعارًا دينيًا، بل إطارًا تحليليًا لفهم السلوك الجماعي. ثالثها التنبيه إلى خطورة توظيف العون في الخطاب العام دون ضوابط تفسيرية، سواء عبر تسييسه أو تفريغه من محتواه، لما لذلك من أثر مباشر في إنتاج سلوك منكمش أو منفتح بلا وعي.

وأخيرًا، توصي الدراسة بأن يُعاد النظر في حضور قيم العون في الخطاب الديني والتربوي المعاصر، بحيث يُقدَّم العون لا كفعل إحساني موسمي، بل كجزء من هوية الإنسان المؤمن، وكأحد المعايير العملية لصدق الإيمان ونضجه. فالعون، في المنطق القرآني، ليس مجرد ما نفعله للآخر حين نملك، بل ما نكونه حين نُختبر.

المصادر والمراجع

بعد القرآن العظيم

١. ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين. بيروت: دار الجيل، ١٩٧٣م.
٢. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة. بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٤م.
٣. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
٤. ابن عاشور، محمد الطاهر، مقاصد الشريعة الإسلامية. القاهرة: دار السلام، ٢٠٠٦م.
٥. ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م.
٦. ابن فارس، أحمد بن فارس، مقاييس اللغة. بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م.
٧. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم. الرياض: دار طيبة، ط٢، ١٩٩٩م.
٨. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير. بيروت: دار الفكر، ١٩٩٣م.
٩. أبو زهرة، محمد، العدالة الاجتماعية في الإسلام. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٧م.
١٠. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن. دمشق: دار القلم، ط١، ١٩٩٢م.
١١. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن. بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٠م.
١٢. الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الشريعة. بيروت: دار المعرفة، د.ت.
١٣. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن. بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٩٧م.
١٤. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق: أحمد محمد شاكر. القاهرة: دار هجر، ط١، ٢٠٠١م.
١٥. طه عبد الرحمن، روح الدين. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠١٢م.
١٦. طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م.
١٧. الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد، إحياء علوم الدين. بيروت: دار المعرفة، د.ت.
١٨. الفخر الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.
١٩. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤م.

٢٠. مالك بن نبي، شروط النهضة. دمشق: دار الفكر، ١٩٨٦م.
٢١. محمد عبده، تفسير المنار. بيروت: دار المعرفة، د.ت.

References

1. ***Abū Ḥayyān al-Andalusī**, Muḥammad ibn Yūsuf.* Al-Baḥr al-Muḥīṭ fī al-Tafsīr *(The All-Encompassing Ocean: A Qurʾanic Commentary). Beirut: Dār al-Fikr, 1993.*
2. ***Abū Zahra**, Muḥammad.* Al-ʿAdāla al-Ijtimāʿiyya fī al-Islām *(Social Justice in Islam). Cairo: Dār al-Fikr al-ʿArabī, 1997.*
3. ***Al-Ghazālī**, Abū Ḥāmid Muḥammad ibn Muḥammad.* Iḥyāʾ ʿUlūm al-Dīn *(The Revival of the Religious Sciences). Beirut: Dār al-Maʿrifa, n.d.*
4. ***Al-Qurṭubī**, Muḥammad ibn Aḥmad al-Anṣārī.* Al-Jāmiʿ li-Aḥkām al-Qurʾān *(The Compendium of Qurʾānic Rulings). Cairo: Dār al-Kutub al-Miṣriyya, 1964.*
5. ***Al-Rāghib al-Aṣfahānī**, al-Ḥusayn ibn Muḥammad.* Al-Mufradāt fī Gharīb al-Qurʾān *(Vocabulary of the Strange Terms of the Qurʾān). Damascus: Dār al-Qalam, 1st ed., 1992.*
6. ***Al-Shāṭibī**, Ibrāhīm ibn Mūsā.* Al-Muwāfaqāt fī Uṣūl al-Sharīʿa *(Harmonies in the Principles of Islamic Law). Beirut: Dār al-Maʿrifa, n.d.*
7. ***Al-Ṭabarī**, Muḥammad ibn Jarīr.* Jāmiʿ al-Bayān ʿan Taʾwīl Āy al-Qurʾān *(The Comprehensive Exposition on the Interpretation of Qurʾānic Verses), ed. Aḥmad Muḥammad Shākir. Cairo: Dār Hajr, 1st ed., 2001.*
8. ***Al-Ṭabāṭabāʾī**, Muḥammad Ḥusayn.* Al-Mīzān fī Tafsīr al-Qurʾān *(Al-Mizan: An Exegesis of the Qurʾān). Beirut: Muʾassasat al-Aʿlamī, 1997.*
9. ***Al-Zarkashī**, Badr al-Dīn Muḥammad ibn ʿAbd Allāh.* Al-Burhān fī ʿUlūm al-Qurʾān *(The Proof in the Sciences of the Qurʾān). Beirut: Dār al-Maʿrifa, 1990.*
10. ***Fakhr al-Dīn al-Rāzī**, Muḥammad ibn ʿUmar.* Mafātīḥ al-Ghayb (al-Tafsīr al-Kabīr) *(Keys to the Unseen / The Great Commentary). Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī, n.d.*
11. ***Ibn al-Qayyim al-Jawziyya**, Muḥammad ibn Abī Bakr.* Iʿlām al-Muwaqqiʿīn ʿan Rabb al-ʿĀlamīn *(Informing the Signatories on Behalf of the Lord of the Worlds). Beirut: Dār al-Jīl, 1973.*
12. ***Ibn ʿĀshūr**, Muḥammad al-Ṭāhir.* Al-Taḥrīr wa al-Tanwīr *(Liberation and Enlightenment: A Qurʾanic Commentary). Tunis: Tunisian Publishing House, 1984.*

13. ***Ibn ʿĀshūr**, Muḥammad al-Ṭāhir.* Maqāṣid al-Sharīʿa al-Islāmiyya *(The Objectives of Islamic Law). Cairo: Dār al-Salām, 2006.*
14. ***Ibn ʿAṭiyya**, ʿAbd al-Ḥaqq ibn Ghālib.* Al-Muḥarrar al-Wajīz fī Tafsīr al-Kitāb al-ʿAzīz *(The Concise Commentary on the Noble Book). Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya, 2001.*
15. ***Ibn Fāris**, Aḥmad ibn Fāris.* Maqāyīs al-Lugha *(Standards of the Arabic Language). Beirut: Dār al-Fikr, 1979.*
16. ***Ibn Kathīr**, Ismāʿīl ibn ʿUmar.* Tafsīr al-Qurʾān al-ʿAẓīm *(Exegesis of the Great Qurʾān). Riyadh: Dār Ṭayyiba, 2nd ed., 1999.*
17. ***Ibn Khaldūn**, ʿAbd al-Raḥmān ibn Muḥammad.* Al-Muqaddimah *(The Introduction). Beirut: Dār al-Fikr, 2004.*
18. ***Mālik Bennabi**.* Shurūṭ al-Nahḍa *(The Conditions of Renaissance). Damascus: Dār al-Fikr, 1986.*
19. ***Muḥammad ʿAbduh**.* Tafsīr al-Manār *(Al-Manar Commentary). Beirut: Dār al-Maʿrifa, n.d.*
20. ***Ṭāhā ʿAbd al-Raḥmān**.* Rūḥ al-Dīn *(The Spirit of Religion). Casablanca: Arab Cultural Center, 2012.*
21. ***Ṭāhā ʿAbd al-Raḥmān**.* Suʾāl al-Akhlāq *(The Question of Ethics). Casablanca: Arab Cultural Center, 2000.*